المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العـــــدد 18 A آب 2025
No.18 A August 2025

المرأة في الادب العباسي بين الحضور الرمزي والواقعي

ابتسام محسن كريدي
جامعة ذي قار / كلية العلوم
abtsammk@sci.utq.edu.iq

الملخص

شهد العصر العباسي انفتاحًا ثقافيًا واجتماعيًا وفنيًا جعل صورة المرأة تحتل مساحة بارزة في النتاج الأدبي، شعراً ونثراً. وقد تجلى حضورها في بعدين متوازيين: الحضور الرمزي و الحضور الواقعي. فمن الناحية الرمزية، اتخذت المرأة في الشعر العباسي صورة مثالية أو خيالية تُجسّد معاني الجمال والكمال والفتنة والإغراء، كما في أشعار الغزل التي زخرت بالصور البلاغية التي جعلت المرأة رمزًا للمتعة الحسية أو للسمو الروحي. وغالبًا ما ارتبط هذا الحضور بالتصوير الفني الذي يتجاوز الواقع ليمنح المرأة أبعادًا أسطورية أو رمزية، سواء في غزل أبي نواس الحسي، أو في غزل ابن الرومي المفعم بالتفاصيل، أو في النزعة العذرية لدى بعض شعراء البادية الذين ظلوا أوفياء لمثال المرأة الطهرانية.

الكلمات المفتاحية، المرأة، الأدب العباسي، الحضور الرمزي

Women in Abbasid Literature: Between Symbolic and Real Presence

Ibtisam Mohsen Kreidi
University of Dhi Qar / College of Science

Summary

The Abbasid era witnessed a cultural, social, and artistic openness that made the image of women occupy a prominent space in literary production, both poetry and prose. Their presence was manifested in two parallel dimensions: symbolic presence and realistic presence. From a symbolic perspective, women in Abbasid poetry took on an ideal or imaginary image that embodied the meanings of beauty, perfection, charm, and seduction, as in erotic poetry, which abounded with rhetorical images that made women a symbol of pure pleasure or spiritual transcendence. This presence was often linked to artistic depiction that transcended reality to give women mythical or symbolic dimensions, whether in the sensual erotic poetry of Abu Nuwas, the detailed erotic poetry of Ibn al-Rumi, or the chaste tendency of some Bedouin poets who remained faithful to the ideal of the woman of Puran.

Keywords: Women, Abbasid Literature, Symbolic Presence

المقدمة

نحمدك اللهم حمداً يليق بجمال وجهك وعظيم سلطانك ونصلي ونسلم على خاتم النبيين أبي القاسم محمد ﷺ

أما بعد

شكّلت المرأة حضورًا متنوعًا في الأدب العربي منذ الجاهلية، لكنها في العصر العباسي اتخذت أبعادًا رمزية وواقعية أعمق، تعكس التحولات الاجتماعية والثقافية التي شهدها هذا العصر الزاخر بالانفتاح والتطور. فقد ظهرت المرأة في النصوص الأدبية العباسية بصورتين: إحداهما رمزية تُمثل الجمال والمُثل العليا، والأخرى واقعية تجسد المرأة الحقيقية في المجتمع، بكل ما تحمله من قضايا وهموم وتجليات. ويتطلب هذا التعدد في التناول دراسة متأنية تُبين ملامح حضور المرأة، وكيف انعكس هذا الحضور في الإبداع الشعري والنثري، ومدى اقترابه أو ابتعاده عن الواقع الاجتماعي.

واحتلّت المرأة مكانة مميزة في مختلف العصور الأدبية، لكن حضورها في العصر العباسي شكّل نقلة نوعية على مستوى التصوير الأدبي والدلالة الرمزية والاجتماعية. فقد تميز العصر العباسي بالانفتاح الحضاري والتنوع الثقافي، وازدهرت فيه الحياة الفكرية والفنية، ما أتاح للمرأة أن تتجاوز حدود التمثيل

التقليدي المرتبط بالعاطفة والغزل، لتظهر بوصفها كائنًا فاعلًا ومؤثرًا في النصوص الأدبية. فلم تعد المرأة مجرد موضوع للشعراء أو رمز للجمال الجسدي، بل أصبحت شخصية تحمل أبعادًا فكرية وفنية، وتُمثّل قيمًا متغيرة تتناسب مع تحولات العصر.

وقد لعبت البيئة الحضرية في بغداد وسائر الحواضر العباسية دورًا مهمًا في تعزيز هذا الحضور، إذ ساعدت المجالس الأدبية، ودور الغناء، ومجالس الخلفاء والولاة، في بروز نساء شاعرات، ومثقفات، وجواري يمتلكن مواهب أدبية وفنية. كما انعكس هذا التعدد في الأدوار على صورة المرأة في الشعر والنثر، حيث تجلت في قصائد الغزل، وفي مدونات التصوف، وفي الحكايات الشعبية، بصورةٍ متعددة: من المرأة العاشقة إلى الفاتنة، ومن الحكيمة إلى المخدوعة، ومن الجارية المبدعة إلى الحبيبة الرمز.

من خلال هذا التصوير المتنوع، يمكن القول إن المرأة في الأدب العباسي كانت مرآة لتحولات المجتمع، ومعيارًا لتطوّر النظرة الإنسانية والجمالية إلى الأنثى. لذا فإن دراسة صورة المرأة في هذا العصر لا تُعنى فقط بتحليل ملامحها الجمالية أو النفسية، بل تكشف أيضًا عن البنية الفكرية والثقافية للأدب العباسي، وعن التفاعلات العميقة بين الأدب والواقع الاجتماعي والسياسي.

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يتناول موضوعًا ثريًا ومتشعبًا، يمسّ أحد أبعاد الثقافة الإنسانية وهو صورة المرأة في الأدب. كما يكشف عن مدى تفاعل الأدب مع الواقع، ويُسهم في توضيح كيف مثّل الأدب العباسي المرأة: هل أنصفها بوصفها كائنًا اجتماعيًا حقيقيًا؟ أم استخدمها كرمز جمالي أو أدبي مجرد؟ ويكتسب البحث أهميته أيضًا من أنه يعيد قراءة التراث العباسي برؤية نقدية معاصرة.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في السؤال المحوري الآتي:

هل كان حضور المرأة في الأدب العباسي حضورًا واقعيًا يعكس واقعها الاجتماعي والسياسي والثقافي؟ أم أنه حضور رمزي استُخدم لخدمة الأغراض الفنية والجمالية في النص الأدبي؟

أسباب اختيار الموضوع:

١.قلة الدراسات المتخصصة التي تُفرّق بين الحضور الرمزي والواقعي للمرأة في الأدب العباسي.

٢.أهمية المرأة بوصفها مكونًا أساسياً في البنية الاجتماعية والثقافية، وتجلّي ذلك في الأدب.

٣.الرغبة في استكشاف مدى صدق الأدب العباسي في تمثيل الواقع الاجتماعي، وخاصة في ما يتعلق بالمرأة.

٤.الإسهام في الدراسات التي تعيد قراءة التراث الأدبي برؤية تحليلية نقدية.

أهداف البحث:

١.رصد أشكال حضور المرأة في الأدب العباسي.

٢.التمييز بين البعد الرمزي والبعد الواقعي في تصوير المرأة.

٣.تحليل الدوافع الفنية والاجتماعية التي دفعت الشعراء والكتّاب إلى تقديم المرأة بتلك الصور.

٤.الكشف عن الأبعاد الجمالية والفكرية لصورة المرأة في النص العباسي.

٥.بيان مدى ارتباط صورة المرأة في الأدب العباسي بالواقع المعاش آنذاك.

منهج البحث:

سيتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي، من خلال قراءة عدد من النصوص الشعرية والنثرية التي تناولت المرأة، وتحليلها وفق رؤية نقدية تميّز بين الرمز والواقع. كما سيوظف المنهج الاجتماعي في بعض المواضع لتفسير السياق الاجتماعي والثقافي الذي أنتج هذه الصور.

الدراسات السابقة:

تناولت بعض الدراسات صورة المرأة في الأدب العربي عمومًا، مثل:

دراسة "المرأة في الشعر العربي القديم" للدكتورة سهير القلماوي، التي ركزت على المراحل الأولى من الأدب.

كتاب "المرأة في الشعر العباسي" للدكتور إحسان عباس، والذي قدّم فيه رصدًا عامًا لصورة المرأة من دون تفرقة منهجية دقيقة بين الرمز والواقع، إضافة إلى أبحاث تناولت المرأة في أدب المجون أو في شعر الغزل العباسي، لكنها غالبًا ما افتقرت إلى الرؤية التحليلية التي تفرق بين تجليات المرأة الرمزية وتجلياتها الواقعية.

تمهيد

تعد المرأة مركزا أو بؤرة أساسية في كثير من الأعمال الروائية، فكانت الأم والأخت والابنة والزوجة والحبيبة، وقد تبارى الكتاب في رسمها في أجمل وأحسن صورة فقد تنافسوا في تصويرها بأجمل الأوصاف كأنهم ينحتون تمثال جميل ذلك لأن المرأة نصف المجتمع وهي الأداة الفاعلة فيه وأساس قيام هذا الصرح العالي " فالمرأة كوكب يستنير به الرجل وفي غيرها ببيت في ظلام ومن هنا ندرك أهمية المرأة في المجتمع. فقد أوصى بها الإسلام أما، وأختا، وبنتا، فهي نصف الرجل والنساء شقائق الرجال كما تقول الأمثال السائرة، فهم أساس قيام أي حضارة.([1])

كما أن المرأة هي النصف الثاني من المجتمع ولهذا كانت الوصية بها خيراً والاعتناء بها فقد كرمها القرآن الكريم بسورة كاملة وهي سورة النساء، لكن الحقيقة أن المرأة العربية في الغالب هي المرأة المقهورة السلبية المتلقية الخاضعة للهيمنة الذكورية ، فهي بالمعتاد تابعة ومتلقية ومقموعة، وهذا القمع يتراوح بين العادات والتقاليد، وظروف المجتمع وأنماطه في التعامل، غير أن المرأة تحاول الخروج من هذه الصورة التي شكلها لها المجتمع وأبقاها فيها وهي صورة المرأة الضعيفة المقهورة، لتثبت للرجل أنها امرأة إنسانة وليست أداة للمتعة، مجرد جسد ينظر إليها بشهوة بل هي شريكته لديها شخصيتها وحياتها وحريتها وأنها ليست مدعاة للنشر كما كان سائدا سابقا، ويبقى السؤال المطروح إلى يومنا هذا هل تغيرت النظرة للمرأة العربية في مجتمعنا الحاضر أم ما زالت كما كانت عليه في السابق، مسجونة في خانة الظلم والقهر والاستعباد وأنها مجرد شيء أم أنها شخص لديه كيان يؤثر ويتأثر ؟

والسؤال الذي تصل إليه من خلال ما تقدم هو كيف تجسدت المرأة في الأعمال الروائية النسوية وكيف طرحها الكتاب، فهل صورها في صورتها المعهودة التي تعاني من أوضاع اجتماعية ونفسية مأساوية أم هل تغيرت هذه الصورة النمطية التقليدية وبدت في صورة المتمردة الثائرة على الأعراف.

إن المتمعن في الأعمال الأدبية يجد العديد من الصور للمرأة، فيجدها في صور مختلفة على الرغم من ما يبذله العديد من الكتاب خاصة الروائيات في تقديم أمثلة مشرفة للمرأة العربية وحرصاً، على تجسيدها في صورة المرأة المتحررة من القيود الموجودة في المجتمع أو التي فرضها الرجل عليها من أجل تحرير نفسها ومحاولة تغيير نظرة المجتمع المتمثلة في اعتبار المرأة وسيلة، أو وعاء للشهوة، وسلبها إرادتها وعمقها إلى امرأة مشاركة في بناء المجتمع ولها دور ايجابي فيه والغاء الفكرة التي تعتبرها المرأة المعتمدة على جسدها أكثر من عقلها وأنها امرأة مشاركة في بناء المجتمع ولديها دور ايجابي فيه، والمرأة أيقونة لا يمكن الاستغناء عنها لأهميتها في كل شيء، وكذلك في الكتابة الروائية فهي تحتل مساحة كبيرة ومؤثرة في حركة أي نص وتمثل الدافع الأقوى لدى الكاتب سواء كان رجل أم امرأة.([2])

---

(١) المرأة بين الماضي والحاضر، محمود خيرت ، ص١٧

(٢) المرأة عصر الديمقراطية، اسماعيل مظهر، ص ١٤١.

(١) المرأة في التاريخ والشرائع، جميل محمد، ص٢٢٨.

المبحث الأول

أولاً : مفهوم المرأة لغة واصطلاحًا

أ-لغة:

مرأة ومؤنث مرء، ومرء في السامية القديمة مرا ومؤنثه مرأة ويعني السيد المولى والمرأة لها عدة صيغ إلى جانب مرء وامرأة نقرأ امرأة ومرة ومرأة، والأخير على اللفظ السامي القديم، وتدخل ال التعريف على المرأة والمرة ولا تدخل على امرأة إلا في شواذ وجمع المرأة نساء ونسوة، ونسوان وبالنسبة إلى الجمع نسائي ونسوي ونسواني والنسوان هي الدارجة، في لغة الكلام المعاصرة. .(١)

نساء جمع مرأة متطور عن سامية القديمة ففي العبرية " نشيم والمفرد أشه على غير لفظ الجمع كما في نساء ومرأة والنساء، ولجمع النساء صيغتان أخريات هما نسوة ونسوان ونساوين عامي والمستعمل في لغة الكلام نسوان. (٢)

ب-اصطلاحاً

لقد تعددت التعاريف في هذا الباب فكل من الكتاب يعطي رأيه في المرأة ويجعل لها تعريف خاص. ومن بين التعريفات الممنوحة للمرأة: تذكر أنها رقاقة من زجاج شفافة فترى داخله أن مسحت عينه برفق زادت لمعته، فترى شيئا من صورتك وكأنها تخفيها داخلها في خجل، وإن كسرتها يوما يصعب عليك جمع أشلائه، وإن جمعتها لتلصقها ندوبة وفي كل مرة تمرر يدك على الندب ستجرحك.

أو هي ذلك الكائن البشري المساند للرجل في جميع حالاته فهي شريكة حياته في كل الظروف والأوقات. (٣)

ان موضوع المرأة من الموضوعات التي أسالت حبر الكثير من الأدباء، سواء في الفكر القديم أو الحديث وهذا الأمر لا غرابة فيه فهي الدعامة الثانية للمجتمع التي تقوم عليها حياة البشر، ولقد تعرضت المرأة عبر التاريخ للاضطهاد والإجحاف في الكثير من حقوقها فلم يعترف بدورها الكبير والفعال في بناء المجتمع والأسرة ، فهي تحتل مكانة الأم والزوجة وتشارك الرجل متاعبه داخل بيته وخارجه، ولا ننسى كمية الظلم والاحتقار الذي تعرضت له المرأة في الجاهلية، وليس هذا فقط بل تعدوا إلى سلبها حياتها وهذا ما نلاحظه في ظاهرة وأد البنات شدة كره العرب لبناتهم واعتبارهم لعنة أو شراء كما تجد ذلك أيضا في الحضارة اليونانية ، حيث نجد أن المرأة كانت تدخل ضمن ممتلكات ولي أمرها وهي بعد الزواج ملك لزوجها. (٤)

إلا أن الحضارة المصرية اختلفت عن باقي الحضارات، فهي الحضارة الوحيدة التي جعلت المرأة مركزا شرعيا تعترف به الدولة والأمة وتنال به حقوق الأسرة والمجتمع تشبه حقوق الرجل فيها.

من ثمة جاء الإسلام ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، فحرر المرأة من عقدة الواد ومد لها يد المساعدة، أصبح لها حقوق وكرامة وأعطى لها حقوقها وساوى بينها وبين الرجل في الحقوق والواجبات ولم يجعل بينهما تمييزا إلا في بعض الحقوق.(٥)

أوصى الرسول ﷺ بمعاملة النساء بالمودة والرحمة والخير، ولكن بسبب الاختلاط بين الأمم فقدت المرأة هذه المكانة وانحطت وذلك بسبب العادات والتقاليد التي لا تتلاءم وأخلاق ومبادئ المجتمع، لكن مع عصر النهضة بدأت المرأة تتحرر، وزال عنها الجهل فقد نادي الكثير من الأدباء بتحريرها وتعليمها، من بينهم قاسم أمين في كتابة تحرير المرأة والمرأة الجديدة حيث حث على تعليم المرأة ورفع الحجاب عنها، فقد اختلفت الآراء في هذه المسألة فهناك من رأى أن المرأة يجب أن تبقى في المنزل وتؤدي دورها الأساسي " فيرى توفيق الحكيم أن عمل المرأة خارج البيت عائق لها عن تأدية واجباتها النبيلة فيشن حملة شعواء على النساء العاملات في مختلف مرافق الحياة " " في حين نجد البعض يرون أنها عنصر فعال ويجب أن تشارك في الحياة بأن تثبت ذاتها وتعمل.(٦)

المطلب الثاني

المرأة في الاصطلاح الديني والثقافي

في الاصطلاح الديني:

المرأة في المفهوم الديني هي كائن مكرم خلقه الله تعالى من نفسٍ واحدة، وهي شريكة الرجل في الخلق والتكليف والعبادة، لها حقوقها وواجباتها، وقد كفل لها الإسلام كرامتها وإنسانيتها واستقلال ذمتها المالية

والاجتماعية. فهي مكلَّفة بكل ما يُكلَّف به الرجل ما لم ترد استثناءات شرعية، ولها شخصيتها القانونية الكاملة في الإسلام، وقد جاءت كثير من النصوص القرآنية والحديثية تؤكد مساواتها في الأجر والثواب والعمل(٧)، كما في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٨)

في الاصطلاح الثقافي:

المرأة في الاصطلاح الثقافي تُعدّ رمزًا متعدد الأبعاد، يتجاوز كونها أنثى بيولوجية لتصبح أيقونة للخصوبة، والعطاء، والجمال، والحياة. تختلف دلالة المرأة في الثقافات باختلاف السياقات الاجتماعية والتاريخية، ففي بعض الثقافات تُصوَّر المرأة كرمز للحكمة والإلهام، وفي أخرى كرمز للضعف والعاطفة أو التبعية. وتعكس الأدبيات الشعبية، والأمثال، والأشعار، والقصص، نظرة المجتمعات إلى المرأة، سواء كانت نظرة تقديس أو دونية.(٩)

المطلب الثالث

تطور المرأة في الأدب العباسي

تطور صورة المرأة في الأدب العباسي يعكس التحولات الاجتماعية والثقافية التي شهدها ذلك العصر، حيث لم تعد المرأة حبيسة الصورة النمطية التي سادت في الأدب الجاهلي أو الأموي، بل أصبحت أكثر تنوعًا وتعقيدًا، توازي تطور البيئة الحضارية والانفتاح الفكري في العصر العباسي.

في بدايات العصر العباسي، استمرت صورة المرأة على النمط التقليدي، كرمز للجمال والعاطفة في الشعر الغزلي، لكنها مع الزمن بدأت تكتسب أبعادًا جديدة. فتأثير الحياة المدنية، وازدهار القصور، ومجالس اللهو، ودور الجواري المثقفات، ساهم في إبراز المرأة ليس فقط كمحبوبة، بل أيضًا كمبدعة ومؤثرة ثقافيًا. ظهرت المرأة في الشعر العباسي كموضوع للغزل الحسي، لكنها لم تكن مجرد موضوع للحديث، بل شاركت في صياغة هذا الأدب من خلال شاعرات مثل علية بنت المهدي، ورابعة العدوية، وغيرهن من الجواري اللاتي كن يتمتعن بمواهب شعرية وفكرية.

تطور حضور المرأة أيضًا في النثر من خلال الحكايات الشعبية مثل "ألف ليلة وليلة"، حيث اتسمت الشخصية النسائية بالحكمة، والدهاء، والقدرة على التأثير في مجرى الأحداث. لم تعد المرأة مجرد كائن تابع، بل أصبحت فاعلة، تمتلك القدرة على التفكير والمواجهة والتخطيط، كما في شخصية شهرزاد التي أنقذت نفسها وحولت الحكاية إلى وسيلة للبقاء والسلطة.

في المقابل، عكس أدب الزهد والتصوف تطورًا آخر في صورة المرأة، إذ تحولت إلى رمز للنفس أو الدنيا، وتجلّت ككائن يُختبر من خلاله الزاهد أو الصوفي، ليتسامى فوق الشهوة نحو الحقيقة الروحية.

وهكذا فإن صورة المرأة في الأدب العباسي تطورت من نموذج تقليدي محدود إلى شخصية رمزية وجمالية وفاعلة، مما يعكس ثراء الحياة العباسية ومرونة الفكر الأدبي في التعامل مع قضايا المرأة وشخصيتها ومكانتها في المجتمع.

شهد العصر العباسي تطورًا كبيرًا في صورة المرأة داخل النصوص الأدبية، نتيجة للتحولات الاجتماعية والثقافية والسياسية التي ميّزت هذا العصر، حيث توسعت الدولة، وتداخلت الثقافات، وازدهرت الحياة الفكرية والفنية، مما انعكس على أدب تلك الفترة. لم تعد المرأة مجرد رمز للجمال أو موضوعًا للغزل التقليدي، بل أصبحت ذات حضور متعدد الأبعاد، فظهرت في صورة المحبوبة، والغانية، والشاعرة، والمثقفة، وحتى الجارية ذات الذكاء والتأثير في مجالس الخلفاء والأدباء. كما أسهمت الجواري المثقفات، مثل عريب وفضل، في تحريك الحياة الأدبية والغنائية، وأصبح لحديث المرأة وقع فنيّ خاص داخل القصيدة العباسية، لا سيما في أدب المجون والغزل الحسي، حيث امتزج الجمال الجسدي بالدهاء العقلي، وأضحت المرأة شخصية أدبية فاعلة وليست فقط موضوعًا للوصف. وقد تنوّعت صورها بين المرأة العاشقة، والماجنة، والمثقفة، والمثالية، مما يعكس انفتاح النص العباسي على الواقع المركّب للمرأة. وهذا التطور لم يكن فقط انعكاسًا للمتغيرات الاجتماعية، بل ارتبط أيضًا بطبيعة الأدب العباسي نفسه الذي اتجه نحو التصوير الواقعي، والتنوع الفني، والتحرر من القيود التقليدية في التعبير عن الإنسان، بما في ذلك المرأة. (١٠)

المبحث الثاني
المرأة في الأدب العباسي

المرأة في الأدب العباسي ظهرت بوصفها شخصية متعددة الأبعاد، عكست تحولات المجتمع العباسي وتطوراته الفكرية والاجتماعية. فقد شهد العصر العباسي انفتاحًا ثقافيًا واسعًا، وازدهرت فيه الحياة الفكرية، مما أتاح للمرأة حضورًا أوضح في النصوص الأدبية، سواء في الشعر أو النثر. ولم تعد المرأة فقط موضوعًا للحب أو الجمال، بل أصبحت رمزًا للترف، والفتنة، والحكمة، وحتى الحضور الثقافي أحيانًا، كما في حالات الشاعرات أو الجواري المثقفات.

في الشعر العباسي، وخصوصًا في الغزل، احتلت المرأة مركزًا مهمًا؛ فالشاعر العباسي لم يكتفِ بوصف جمالها، بل قدّمها بصور دقيقة، فيها شيء من التجرّد الحسي الذي يعكس طبيعة الحياة الحضرية في بغداد وسائر حواضر الخلافة. كما يظهر البُعد الحسي والجسدي في كثير من النصوص، وهو ما يُميّز الغزل العباسي عن الغزل العذري في العصر الأموي، حيث كان الغزل أكثر روحانية وعاطفية.

وفي المقابل، حضرت المرأة أيضًا في صور رمزية، خاصة في أدب الزهد والتصوف، حيث تمثل أحيانًا النفس، أو الدنيا، أو الفتنة التي يجب الحذر منها. وفي مجال القصص والحكايات، كما في "ألف ليلة وليلة"، تجسّدت المرأة بصورة أكثر حرية ودهاء وفاعلية، فكانت ساحرة، ومخططة، وذكية، لا مجرّد تابع للرجل.(١١)

هذا التنوع في حضور المرأة يعكس واقع المجتمع العباسي الذي كان مليئًا بالتناقضات: انفتاح حضاري يقابله صراع أخلاقي وفكري، وحرية تعبير بجانب تقاليد دينية وثقافية متجذرة. ولذلك فإن صورة المرأة في الأدب العباسي ليست ثابتة أو واحدة، بل مرنة ومتغيرة، تتشكل حسب غرض النص الأدبي واتجاهه الثقافي والفكري.

شكّلت المرأة عنصرًا مهمًا في البناء الأدبي العربي، وحظيت بمكانة بارزة في الشعر والنثر على مرّ العصور، غير أن حضورها في الأدب العباسي اتخذ طابعًا مميزًا من حيث التنوّع والعمق. فقد كان العصر العباسي عصر انفتاح ثقافي واسع، وازدهار حضاري شمل مختلف ميادين الحياة، مما أتاح للمرأة أن تخرج من دائرة الحضور الخجول أو النمطي إلى مشهد أكثر حيوية وتفاعلًا. لم تعد المرأة مجرد موضوع للغزل كما كانت في الجاهلية، بل أصبحت فاعلة أحيانًا، ومحلًا للرمز والتأمل أحيانًا أخرى. كما شهد الأدب العباسي ظهور نساء مثقفات، شاعرات، ومغنيات أَثْرَيْن الحياة الأدبية والفنية، مثل "عريب" و"فضل"، مما أضفى على صورة المرأة في هذا الأدب أبعادًا جديدة، تتراوح بين الرمز الجمالي والوجود الواقعي. ومن هنا، فإن دراسة المرأة في الأدب العباسي ليست مجرد رصد لصورة أنثوية، بل هي قراءة اجتماعية وثقافية لحضورها الرمزي والفعلي في نص أدبي يعكس روح عصره وتناقضاته. (١٢)

المطلب الأول
الغزل الحضري والمرأة الجمالية

الغزل الحضري هو لون من ألوان الشعر الغزلي الذي نشأ في أوساط المدن، وارتبط بحياة الرفاه والتحضر، ويختلف عن الغزل البدوي أو العذري الذي يركّز على العاطفة الصادقة والحب الطاهر البعيد عن الجسد. في الغزل الحضري، تظهر المرأة بوصفها كائناً جمالياً يُحتفى به من خلال الوصف الدقيق لمفاتنها وجمالها الخارجي، إذ تتجلى فيها معاني الرقة والأنوثة والدلال. المرأة هنا ليست فقط موضوع حب، بل موضوع فن وجمال، وهي مصدر الإلهام الشعري بملامحها الساحرة، وضحكتها الآسرة، وحركاتها الناعمة، وهيبة حضورها في المجالس.

يعتمد شعراء الغزل الحضري على تصوير المرأة عبر صور فنية تتسم بالترف والذوق العالي، ويظهر ذلك في تشبيهات الشعر الطويل بالليل، والعينين بالسهام أو الكُحل الساحر، والقدّ بالغصن الميّاد. هذا النوع من الغزل يرتبط بالحياة المدنية التي توفر بيئة منفتحة تسمح بالتفاعل الاجتماعي، ومجالس الغناء واللهو، ما يتيح للشاعر أن يعبّر عن تجربته العاطفية بصيغة مباشرة، فيها وصف دقيق للمرأة ومشاعر المتعة واللذة واللقاء.

الجمال في الغزل الحضري لا يُنظر إليه نظرة فطرية فقط، بل هو جمال مصقول بثقافة المدينة، حيث تظهر المرأة كأنها عمل فني متكامل، يشد الأنظار وتثير سلوكياتها الرقيقة أحاسيس الشاعر. وغالبًا ما يُبرز هذا النوع من الشعر العلاقة مع المرأة في إطار من التهتك الأدبي المغلّف بالنعومة الشعرية، إذ تُقدّم الأنثى في أبهى صورها، من دون أن تكون مثقلة بالحياء البدوي أو مثالية الغزل العذري. المرأة الجمالية في الغزل الحضري هي أيقونة للحضور الطاغي، وللمتعة الحسية، وللجمال الذي يُعاش ويُتأمل، وليس مجرد حلم بعيد أو ذكرى غائبة.(١٣)

ويُعدّ الغزل الحضري من أبرز سمات الشعر العباسي، وقد عكس صورة جديدة للمرأة لم تكن مألوفة في العصور السابقة. فقد أفرزت الحضارة العباسية، بكل ما حملته من ترفٍ ورقي ثقافي، نمطًا من الشعر الغزلي الذي احتفى بالمرأة الجمالية بوصفها كائنًا فنيًا، ومصدر إلهامٍ للحسن والجمال، لا سيما في بيئة بغداد وسامراء والحواضر الكبرى التي شهدت انفتاحًا اجتماعيًا وثقافيًا غير مسبوق.

تميز الغزل الحضري عن الغزل البدوي أو العذري، في أنه لم يكن يركّز على المعاناة العاطفية والحرمان أو الحب الطاهر، بل كان يعكس حالة من الانبهار الجمالي بالمرأة المحسوسة، ذات الزينة والرشاقة، العارفة بمفاتنها. لقد صوّر الشعراء المرأة كأنها لوحة فنية أو تمثال من الحسن، يصفون ملامح وجهها، وعطرها، ومشيتها، ولباسها، وكل ما يثير الحواس. ومن هنا أصبح الغزل الحضري وثيق الصلة بالمجتمع المدني المترف، الذي تداخلت فيه عناصر الغناء والرقص والمجالس والأدب.

ولأن الأدب العباسي تأثر بالحضارة الفارسية والرومية، فقد برزت المرأة المتحررة ثقافيًا، الحاضرة في المجالس الأدبية والغنائية، التي تناقش، وتجادل، وتحاور. ومن أبرز الأسماء التي ارتبطت بهذا المناخ: عريب المأمونية، وفضل، ودنانير، وهنّ جوارٍ مثقفات تفوقن بالغناء والشعر والثقافة، وأثرن في الشعراء الذين صوّروا المرأة الحضرية بوصفها نموذجًا مكتملًا للجمال والرقي. (١٤)

المرأة في الغزل الحضري ليست فقط موضوعًا للغواية، بل أيضًا تجسيدًا للفتنة والفكر والأنوثة المكتملة، فهي تُمثل الذوق الفني العام للعصر. هذه الصورة كانت نتيجة لواقع اجتماعي وثقافي جعل من المرأة الحضرية جزءًا فاعلًا من الحياة الأدبية والفنية، لا مجرد كائن مستتر كما في العصور السابقة.

المطلب الثاني
صورة المرأة في القصص والسرد

تُعدُّ صورة المرأة في القصص والسرد من المحاور الجوهرية التي تعكس تصورات المجتمع تجاه الأنثى وتصوراتها الثقافية والاجتماعية. في الأدب العباسي، لم تكن المرأة مجرد شخصية ثانوية أو موضوعًا بسيطًا، بل أُعطيت أبعادًا متعددة، تجمع بين الرمزية والواقعية. ففي القصص والسرد، ظهرت المرأة كشخصية فاعلة لها دورها في الأحداث، سواء كملكة، أو محبوبة، أو امرأة ذكية تمارس تأثيرها في المجالس السياسية والاجتماعية، أو كرمز للقوة والغموض والأنوثة. (١٥)

وقد اتسم السرد العباسي بتنوع تصوير المرأة؛ ففي بعض القصص، مثل تلك التي في كتاب "ألف ليلة وليلة"، ظهرت المرأة في صور متعددة: كالشخصية البطولية ذات الحكمة، كالشهيرات والحكيمات، وكذلك في دور النساء اللاتي يعانين من الظلم أو الاستغلال. ويبرز في هذه القصص عمق التناقضات الاجتماعية والتفاعلات بين الجنسين، كما تظهر المرأة أحيانًا في صورة مثيرة للغموض والفتنة، تعكس نظرة المجتمع إلى قوة الجاذبية الأنثوية وتأثيرها. (١٦)

وقد كانت القصص العباسية وسيلة لعرض تجارب النساء وتفاعلاتهن، مما جعل من السرد فضاءً يعكس صورة المرأة في كل أبعادها، من الحنان والعطاء إلى التحدي والصراع، ومن الحب والوفاء إلى الغدر والخيانه، ما يؤكد غنى الأدب العباسي وقدرته على تصوير الواقع الإنساني بكل تعقيداته. (١٧)

1. المرأة كشخصية فاعلة في القصص العباسي

في الأدب العباسي، لم تقتصر المرأة على دور سلبي أو هامشي، بل برزت كشخصية ذات حضور قوي وفاعلية واضحة في مجريات الأحداث. نجد في بعض القصص النسائية شخصيات تمارس الحكمة والسيطرة، مثل الملكات أو النساء اللاتي يتولين دورًا سياسيًا أو اجتماعيًا في إطار القصص الشعبية والروايات. على سبيل المثال، في قصص "ألف ليلة وليلة"، تظهر المرأة في مواقف قيادية مثل شهرزاد

التي تنقذ نفسها بالذكاء والحكمة، وتستمر في سرد القصص التي تفتح الأفق أمام السامعين، مما يبرهن على قدرة المرأة على التحكم في مصيرها ومصير الآخرين عبر السرد. (١٨)

٢.المرأة في دور الحبيبة والفتنة

غالبًا ما يظهر في القصص والسرد العباسي دور المرأة كرمز للجمال والفتنة، حيث تأخذ صفتها الجمالية بعدًا مركزيًا في الحبكة القصصية. تصوّر المرأة في هذه القصص ككائن يثير الشغف والعواطف، ويتحول وجودها إلى محور صراعات وتوترات، سواء على مستوى الحب أو السلطة. يظهر هذا بوضوح في قصص مثل قصة "قيس وليلى" التي تحكي عن الحب والعذاب، حيث تبرز المرأة كرمز للجمال المطلوب والمستحيل، وهو نموذج حضاري متكرر في الأدب العباسي. (١٩)

٣.المرأة كرمز للغموض والتناقضات الاجتماعية

تمثل المرأة في السرد العباسي رمزًا مركبًا للغموض والتناقضات الاجتماعية، فهي في آن معًا كائن ناعم وحساس، لكنه قادر على التأثير والهيمنة في سياقات معينة. تتراوح صور المرأة بين الأم الحانية، والزوجة الوفية، والمرأة الذكية التي تستعمل دهاءها للنجاة أو التأثير. هذا التنوع يعكس واقع المجتمع العباسي المركب، حيث كان للمرأة دور محوري في البيت والمجتمع، رغم التحديات والقيود الاجتماعية التي واجهتها.

المطلب الثالث

البعد الرمزي في تصوير المرأة

البعد الرمزي في تصوير المرأة هو أحد الأبعاد الجمالية والفكرية التي شغلت اهتمام الأدباء والنقاد، إذ لم تعد المرأة تُصوَّر بوصفها كائنًا واقعيًا فحسب، بل أصبحت تمثّل رموزًا متعددة تتجاوز وجودها الفيزيائي إلى أبعاد حضارية وثقافية ونفسية. في هذا السياق، تحوّلت المرأة في كثير من الأعمال الأدبية إلى رمز للوطن، أو الحرية، أو الهزيمة، أو الاغتراب، أو حتى الهوية المفقودة. هذه الرمزية لم تكن عفوية بل جاءت ضمن تحوّلات الوعي الأدبي وتطور أنماط الكتابة، خاصة في الشعر والرواية الحديثة. (٢٠)

عند قراءة قصائد الشعر الحديث، نجد أن المرأة تحوّلت إلى رمز للوطن، لا سيما في شعر المقاومة والاغتراب، حيث تتداخل صورة الحبيبة مع صورة الأرض. فمحمود درويش، مثلًا، في عدد من قصائده، يصوّر الحبيبة بطريقة تتماهى مع الأرض المحتلة، ويعبّر من خلالها عن الشوق والضياع والانتماء. هذا الاستخدام الرمزي للمرأة كبديل عن الوطن يعكس حالة من الانكسار والحنين. (٢١)

كما أن المرأة قد تحضر في بعض الأعمال الأدبية بوصفها رمزًا للغواية والخطيئة، وخصوصًا في الأدب العباسي، حيث ارتبطت صورة المرأة أحيانًا بالفتنة والترف والانحلال، وهو ما يُلاحظ في شعر بشار بن برد وأبي نواس. هذه الصورة لم تكن فقط انعكاسًا لحالة اجتماعية بل كانت تعبيرًا عن قلق فكري وجمالي، وعن رؤية مزدوجة للمرأة بوصفها مصدرًا للذة والخطر في آنٍ واحد. (٢٢)

فإن تصوير المرأة من منظور رمزي في الأدب لا يُعد مجرد تزيين فني، بل هو أداة فكرية وجمالية عميقة تُستخدم لتكثيف المعاني وتوسيع دائرة الدلالة، مما يجعل المرأة في النص الأدبي حاضرة في قلب الأسئلة الوجودية والإنسانية الكبرى، لا مجرد شخصية هامشية أو ثانوية.(٢٣)

ويعد البُعد الرمزي في تصوير المرأة من أعمق وأغنى الأبعاد الفنية والفكرية التي وظّفها الأدب العربي، إذ تتحول المرأة في هذا السياق من مجرد شخصية واقعية أو حبيبة حسية إلى رمز يحمل دلالات تتجاوز حدود الجسد أو العلاقة العاطفية المباشرة. فالمرأة هنا تصبح صورة رمزية لفكرة أكبر، قد تكون الوطن، أو الحرية، أو الغربة، أو الطهر، أو حتى الفقد والغياب. يعتمد هذا النوع من التصوير على توظيف صفات المرأة الظاهرة، مثل الجمال أو الحضور أو الغياب أو الفتنة، ليُسقطها الشاعر أو السارد على مفاهيم مجردة. في الشعر مثلًا، لا تكون الحبيبة مجرد امرأة يحبها الشاعر، بل قد ترمز إلى أرضه المسلوبة أو حلمه المقموع (٢٤)

وقد لعبت المرأة دورًا رمزيًا أيضًا في الأدب الصوفي، حيث كانت تمثل النفس الطاهرة أو الروح الباحثة عن المطلق، أو حتى "الحقيقة" التي يسعى إليها المتصوف في رحلته الروحية. وفي بعض النصوص السردية، تتحول المرأة إلى رمز للغواية والصراع بين الرغبة والضمير، أو بين الجسد والعقل، فهي تُجسّد القوة التي تدفع بالبطل إلى السقوط أو الخلاص، حسب البنية الرمزية للنص. بهذا المعنى، فإن

تصوير المرأة رمزياً لا يتعلق بها ككائن مستقل، بل بوصفها قناةً لتأملات فكرية وأخلاقية، وبُعداً إيحائياً عميقاً يُثري المعنى ويمنح النص طاقة تعبيرية تتجاوز المباشر والمألوف.(٢٥)

الخاتمة

في ختام هذا البحث حول صورة المرأة في الأدب العباسي بين الحضور الرمزي والواقعي، تبيّن أن المرأة لم تكن مجرد كائن هامشي أو عنصر مكمل للقصيدة أو النص السردي، بل شكّلت حضورًا مركزيًا تنوّعت دلالاته وتباينت تجلياته بين الواقع الملموس والرمز العميق. فقد عكست صورة المرأة في الأدب العباسي طبيعة المرحلة التاريخية بكل ما فيها من تحولات سياسية وثقافية واجتماعية، فظهرت المرأة الواقعية في صورة الجارية والحبيبة والزوجة والواعظة، وهي تمارس أدوارها ضمن النسيج الاجتماعي، بينما تجلت المرأة الرمزية في صورة الوطن، أو الفتنة، أو الكمال الجمالي، أو حتى رمزًا لانهيار القيم أحيانًا.

ومن خلال التحليل النصي والمعالجة النقدية، وُجد أن المرأة في الأدب العباسي كانت تتأرجح بين واقعٍ يعكس مكانتها الاجتماعية ومحدودية حضورها، وبين رمزية تفتح أبواب التأويل وتمنحها أبعادًا أعمق في وعي الشاعر أو السارد. وقد ساهمت بيئة الترف والانفتاح الثقافي آنذاك، خاصة في قصور الخلفاء ومجالس الأدباء، في إثراء صورة المرأة وإبرازها بشكل متنوع بين شعر الغزل، وشعر الزهد، والسرد القصصي.

النتائج

١. أظهرت النصوص أن المرأة الواقعية كانت جزءًا من الحياة اليومية، تحضر بوصفها كائنًا اجتماعيًا فاعلًا، بينما المرأة الرمزية كانت تعبيرًا عن مشاعر باطنية وأفكار كبرى، ما يدل على عمق الوعي الفني في التعامل مع صورتها.

٢. برزت المرأة بوصفها رمزًا للجمال والخصب والفتنة، وأحيانًا رمزًا للزوال والانهيار، ما يعكس تباينًا في نظرة الأديب العباسي إليها، بحسب السياق الفكري والوجداني للنص.

٣. تبين أن الحضور الرمزي للمرأة لم يكن منفصلًا تمامًا عن حضورها الواقعي، بل كان امتدادًا له في مستوى أعمق من التعبير.

توصيات

١.إجراء دراسات مقارنة بين صورة المرأة في الأدب العباسي وصورتها في عصور أدبية أخرى كالأدب الأندلسي أو العصر الفاطمي، للكشف عن أوجه التشابه والاختلاف في تمثيل المرأة.

٢.توظيف المناهج النقدية الحديثة مثل البنيوية، والتحليل النفسي، والنقد النسوي في دراسة صورة المرأة في الأدب العباسي لتحليل أعمق للأبعاد الرمزية والواقعية.

٣.التركيز على النصوص النثرية المهملة من العصر العباسي لدراسة صورة المرأة خارج الإطار الشعري، ومعرفة مدى تمثيلها كفاعل اجتماعي وفكري.

٤.تسليط الضوء على إنتاج الكاتبات والشاعرات في العصر العباسي، وإبراز صوت المرأة الحقيقي في مقابل صورتها في خطاب الرجل.

٥.ربط صورة المرأة في الأدب العباسي بالواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي لتفسير تمثيلها الرمزي والواقعي تفسيرًا أوسع.

٦.تشجيع الباحثين على دراسة حضور المرأة في أدب الزهد والمواعظ، إلى جانب حضورها في الغزل والمجون، لتكوين صورة أكثر شمولًا لتجلياتها في النصوص الأدبية.

هوامش البحث

١-المرأة بين الماضي والحاضر، محمود خيرت ، ص١٧

٢- المرأة عصر الديمقراطية، اسماعيل مظهر، ص ١٤١.

٣-فصول عن المرأة، هادي محمد، ص 9.

٤-صورة المرأة في رواية أمرأه في الزمن العتيق، محمد بن طبة،ص١٤.

٥-المرأة في القرآن، محمد متولي الشعراوي، ص١١.
٦-المرأة في القرآن، عباس محمد عقاد ص٤٧.
٧-المرأة في أدب توفيق الحكيم الأهالي، رشيد بوشعير، ص 54.
٨-سورة النحل : الآية ٩٧.
٩-المرأة بين الفقه والقانون، محمد عمارة،ص٢٣-٢٤.
١٠-المرأة والرمز والسلطة، فاطمة المرنيسي، ص١٣.
١١-المرأة في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي، محمد عبد المنعم، ص٢٢٧.
١٢-المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، عبد الله بن عفيفي الباجوري (ت ١٣٦٤هـ)،٢٨٤/٢
١٣-العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، ص٢٢٥.
١٤-المصدر السابق.
١٥-المرأة والجنس، نوال السعداوي، ص٦٦-٦٧.
١٦-ينظر :المصدر السابق نفسه،ص٦٧
١٧-أدب المرأة في العصر العباسي وملامحه الفنية، خالد الحلبون، ص٩٩.
١٨-زهر الآداب وثمر الألباب، الحصري، تح، علي محمد البجاوي، ص١٠.
١٩-المحاسن والأضداد، الجاحظ، ص٣٠.
٢٠-نزهة الجلساء في أشعار النساء، السيوطي، ص٥٤.
٢١-المرأة في أدب ألف ليلة وليلة، فؤاد الزعيم، ص٨٠.
٢٢-المرأة في الأدب العربي : دراسة في الرواية والقصة، سعاد الصباح، ٥٨.
٢٣-أساليب السرد في الرواية، صلاح فضل، ص١٧.
٢٤-قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، ص١١٢.
٢٥-الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، جابر عصفور، ص٨٥.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : الكتب

١-أساليب السرد في الرواية، صلاح فضل، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، ط٣، ١٣٩٧ه-١٩٧٧م.
٢.زهر الآداب وثمر الألباب، الحصري، تح، علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربي، القاهرة، 1970.
٣.الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، جابر عصفور، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١، ١٣٧٦ ه.
٤.العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٤٢٧ه-٢٠٠٦م.
٥.فصول عن المرأة، هادي محمد، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، ط٣، ١٣٩٧ه-١٩٧٧م.
٦.قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٤ه.
٧.المرأة بين الماضي والحاضر، محمود خيرت، دار الجيل، لبنان، ط١، ١٤٢٧ه-٢٠٠٦م.
٨.المرأة بين الفقه والقانون، محمد عمارة، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٢م.
٩.المرأة والرمز والسلطة، فاطمة المرنيسي، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، ط٣، ١٩٩٤م.
١٠.المرأة في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي، محمد عبد المنعم، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.
١١.المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، عبد الله بن عفيفي الباجوري (ت ١٣٦٤هـ)، مكتبة الثقافة، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٣٥٠ هـ - ١٩٣٢ م.

١٢.المرأة والجنس، نوال السعداوي، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، ط١، ١٩٨١م.
١٣.المرأة في أدب ألف ليلة وليلة، فؤاد الزعيم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٤م.
١٤.المرأة في الأدب العربي : دراسة في الرواية والقصة، سعاد الصباح، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ٢٠٠٠م.
١٥.المحاسن والأضداد، الجاحظ، مطبعة الساحل الجنوبي، لبنان، منشورات مكتبة العرفان، بيروت، ط١، ١٤٢٧ه-٢٠٠٦م.
١٦.نزهة الجلساء في أشعار النساء، السيوطي، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، 1958م.

ثانياً :الرسائل والأطاريح

١.صورة المرأة في رواية أمرأه في الزمن العتيق، محمد بن طبة، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ٢٠٢٠م.

ثالثاً :المواقع الإلكترونية

١.أدب المرأة في العصر العباسي وملامحه الفنية، خالد الحلبون،مقال منشور بمجلة الباحث Www.suraa-sh@alkadhum-col.edu.iq